الأهرام

المصدر: الجمهوريه

التاريخ : ٩ مايو ١٩٦٨

العذراء وهجرتها النضالية منذ ألفى عام إلى أرض مصر..

محمد عبد الحميد

عندما اكتب اليوم فى موضوع ظهور طيف العذراء المقدسة حول قباب كنيسة الزيتون ، فليس حديثى متعلقا بتحقيق هذه الظاهرة ، وليس متعلقا ايضا بأى تفسير قد يفسرها به المعنيون بالامر ..

ان تحقيق الظاهرة ، قد قامت به لجان من المقر البابوى بالكنيسة الارثوذكسية ، ومن مقر المبعوث السياسى للفاتيكان بالقاهرة كما شهدت به الجموع الغفيرة التى تسهر كل ليلة حتى الفجر وتعلن انها ترى طيوفا من النور الباهر ، تظهر حول قباب الكنيسة وتستمر فترات متفاوتة كل ليلة ، وانها تتخذ شكل السيدة العذراء وأشكال حمائم بيضاء تحلق فى الظلام وتختفى ..

وبهذه الشهادات جميعا ، يتم الفصل فى الامر .. ان هناك ظاهرة غير طبيعية أو خارقة ، تحدث كل ليلة حول قباب الكنيسة .. وأن الجماهير والسلطات الدينية ، على اتفاق تام فى اعتبار هذه الظاهرة ، ظهورا لطيف العذراء المقدسة ..

أما عن التفسيرات المختلفة ، التى تتناول هذه الظاهرة ، سواء منها ما يستند الى العلم ، أو ما يستند الى الوجدان الدينى والوطنى .. فانا أرى أن الخوض فيها عسير ايضا .. فالخوارق الغيبية ، كانت وستظل دائما فوق كل قدرة للعقل على التفسير والتأويل ..

اذن .. ما هو الموضوع الذى يحق لنا ، ويجب علينا أن نركز عليه أزاء هذه الظاهرة ؟.

فى اعتقادى انه هو الموضوع الذى نستطيع أن نستمده من التاريخ الثابت .. هو المعنى الذى نستطيع أن نعززه بالتأمل العقلى فيما تثيره هذه الظاهرة من معان تاريخية ، وعقلية ..

ان طيف العذراء الذى تجمع الجموع الغفيرة على ظهوره حول قباب كنيسة الزيتون ، جدير بأن يذكرنا برحلة العذراء المقدسة ، منذ الفين من السنين تقريبا ، قادمة من بيت لحم اليهودية .. الى نفس هذه المنطقة ، حاملة على صدرها طفلها المقدس ، ومصطحبة معها يوسف النجار الذى كان يرعاها ..

هذه الرحلة ماذا كانت أسبابها ؟ وماذا كانت أهدافها ، والى أى شىء أدت ؟.

فى هذه الحدود ، وبالمنطق العلمى وحده ، أسمح لنفسى اليوم أن اكتب حول الظاهرة ، وليس عنها .. أن اكتب فيما تذكرنا به من رحلة العذراء المقدسة الاولى الى أرض مصر ، واحتمالها فيها فترة معينة ، قبل أن تعود أدراجها الى أرض فلسطين .. الى مهد هذا الطفل ومنزل رسالته فيما بعد ..

يقول ما بين أيدينا من التاريخ ، وما هو وارد فى الاناجيل ، أن جماعة من الرعاة ، شهدوا ـ عند مولد المسيح ـ نجما يتلالا فى السماء ، ويقود خطاهم الى بيت لحم اليهودية .. حيث كانت العذراء قد وضعت طفلها المقدس ، ولفته بالاقمطة ، واضجعته فى مزود للبقر ..

وتروى الاناجيل ان الرعاة تنبأوا بأن هذا الطفل سيكون له شأن عظيم .. وان هيرودس ملك اليهود عندما سمع بهذه النبوءة أرسل وراء الرعاة ليعرف منهم مكان الطفل ، فلما تهربوا منه انقاذا للطفل من بطشه .. أصدر أمرا وحشيا الى جنوده بالتوجه الى مدينة بيت لحم ، وذبح كل طفل ولد فيها خلال العامين الاخيرين ..

وتقول الاناجيل بعد ذلك ، ان الله أمر السيدة العذراء ، وراعيها يوسف النجار ، بأن يهربوا بالطفل قبل أن تبدأ المذبحة وأن يتجهوا الى أرض مصر ، وأن يقيموا فيها حتى يدعوهم الله الى العودة مرة أخرى الى أرض اليهودية ..

ثم تقول الاناجيل أن هيرودس ، الملك اليهودى ، نفذ أمره الوحشى فعلا ، وأنه ذبح جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما أقل ، وتصف اثار المعركة بقولها « صوت سمع فى الرامه ، نوح وبكاء وعويل كثير .. راحيل تبكى على أولادها ولا تتعزى ، لانهم ليسو بموجودين » ..

وقد عادت العذراء بعد ذلك الى أرض اليهودية ، واتخذت لها مقرا فى مدينة الناصرة ، لتكون بعيدة عن سلطان ملك اليهود ، وأن المسيح سمى لذلك ناصريا ، لانه ظل فى الناصرة ، حتى نما وأصبح مستعدا للقيام برسالته .. حيث كان كما يصفه انجيل لوقا : يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » ..

هذه قصة رحلة العذراء المقدسة الى أرض مصر ، واقامتها فى المنطقة التى يظهر فيها طيفها هذه الايام ، حتى حان موعد عودتها الى أرض فلسطين .. ليبدأ ابنها رسالته السماوية ..

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

فما الذى نستطيع أن نراه بعقولنا فى ضوء هذه القصة ، التى ينبغى أن يذكرنا بها ما تجمع عليه الجماهير والسلطات الدينية ،من ظهور طيف العذراء مرة أخرى فى أرض مصر ، وفى نفس المكان الذى أقامت فيه مغتربة .. منذ الفى عام ..

الشىء الاول ، هو أن نتأمل سبب تلك الرحلة ..

والشىء الثانى ، هو أن نتأمل هدف تلك الرحلة ..

والشىء الثالث هو أن تقارن بين الماضى وبين الحاضر ، وأن نحاول أن نستفيد درسا ..

واذا كان سبب الرحلة ، كما هو ظاهر بصورة قاطعة ، من القصة الانجيلية ، هو أن ينجو الطفل المولود من أجل رسالة معينة ، من المذبحة التى أعدها كبير اليهود ، والتى قتل فيها جميع الاطفال الموجودن فى بيت لحم لكى يضمن التخلص منه .. فان هذا السبب وحده جدير بأن يدفعنا الى التساؤل ما الذى أخاف ملك اليهود كل هذا الخوف من مولد طفل أشيع يوم ولادته أنه سيكون عظيما وسيما ..

هنا لابد أن نرجع قليلا الى المعتقدات اليهودية نفسها ، كما هى واردة فى التوراة ، وما تضمنته من اشارة الى رسالة المسيح ، ودوره على الارض ..

فمن نصوص الكتب اليهودية نفسها ، كان اليهود ، وبينهم ملوكهم - هيرودس ومن قبله ومن بعده - يعتقدون أن طفلا سوف يولد ، ليكون فى مستقبله مسيحا ، يقوم برسالة محددة ، أجملها اشعياء - أحد أنبياء التوراة - بقوله ان الله يضع روحه عليه ، ويمسحه ، ليبشر المساكين ، ويعصب منكسرى القلوب ، وينادى للمسبيين بالعتين ، وللمأسورين بالاطلاق

كل ما يكرهه هيرودس ، وما تقوم عليه غلواء اليهودية واستعلاؤها العنصرى ، وما تزخر به الحياة فى جنباتها من مظالم وخطايا ومعصيات.. كل هذا سيكون موضع مقاومة المسيح، وموضوع رسالته ..

مسيح ياتى ليبشر المساكين .. ويقوى منكسرى القلوب .. ليرفع صوته ضد العبودية ، ويطالب بتحرير العبيد .. لينادى باطلاق الاسرى .. ليغير نوع الحياة القائمة فى أرض اليهودية ويحطم جميع العمد التى تقوم عليها مملكة اليهود ..

مثل هذا المسيح ، يجب أن يقتل.. ومن المصلحة أن يقتل وهو بعد طفل لايعرفه أحد وقبل أن يبدأ التبشير بمبادئه .. وفى سبيل قتله ، لابأس فى سنة هيرودس ملك اليهود ، من اقامة المذبحة الوحشية لجميع الاطفال ينتزعهم الجلادون من فوق صدور أمهاتهم ، ويذبحونهم أمام أعينهن ، بين البكاء والعويل والنواح وصرخات الثكالى ..

مذبحة لها كل مبرراتها فى نظر الوحش اليهودى الحاكم ، والشعب اليهودى الموغل فى الهمجية والاستعلاء والوحشية والعنصرية ..

ولولا أن هيرودس ، ملك اليهودية، كان يعلم - فى قرارة نفسه - مدى خطورة المبادىء التى يأتى المسيح لكى يرفعها ويعليها ويناضل فى سبيلها ، لما حقد هذا الحقد كله على طفل رضيع .. ولولا أن المجتمع اليهودى الذى كان يحكمه هيرودس ، كان يعلم مدى خطورة هذه المبادىء على ما رسمه لنفسه من مخطط همجى ، وما يتربى عليه من استعلاء عنصرى ، لما سكت وهو يرى مذبحة الاطفال تجرى ، ولما ساهم فيها بأيدى الجلادين من ابنائه ..

وهنا ، تبدو أول صورة نضالية

فى هذه القصة .. صورة العذراء الام ، تحمل طفلها الرضيع ، وتتأهب للفرار ليلا ، من جه المذبحة ، الى حيث تستطيع حماية هذا المولود والابقاء عليه ليوم رسالته ..

النضال بالصبر ، والنضال بالعزيمة والنضال بالاصرار ، والنضال باحتمال

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

المشقة ، والنضال بالاغتراب ، والنضال بصيانة الامل ، والايمان بالنصر ..

كان أقرب ما يمكن أن يتولد فى قلب العذراء الوديعة ، هو أن تركن فى حل الموقف كله الى الله ..اليست هى العارفة بقدرته العلوية .. واليس هو الذى ملا أحشاءها بنوره وأولدها هذا الطفل بمشيئته الخارقة .. واليس هو القادر وحده على حمايته.؟!

ولكن هناك فرقا بين الايمان بالله والتوكل عليه ، وبين التواكل والنقوص من أداء الواجب النضالى .. ولهذا صدعت العذراء بأمر النضال .. وجاءت الى أرض مصر تغترب، وتحتضن الامل .. وصبرت وفى قلبها اليقين..

ولما عادت بعد انقضاء المذبحة .. عادت لتناضل أيضا فى تنمية هذا الطفل .. الذى كان «يتقدم فى الحكمة وفى القامة وفى النعمة عند الله والناس» .. أى الذى كان يستعد ماديا وروحيا لاداء رسالته ..

وكان أول يوم يظهر فيه داعيا الى الحق ، مناديا قلوب أنصاره ، ومنذرا كل أعدائه .. هو ذلك اليوم الذى وقف فيه بين اليهود فى المجمع ، ليلخص لهم رسالته ، طبقا لبنود اشعياء ، نبى التوراه ، وذلك بأن يسمعهم صوته المدوى قارئا « روح الرب على ، لانه مسحنى لابشر المساكين .. أرسلنى لاشفى منكسرى القلوب ، لانادى للمأسورين بالاطلاق ، وللعمى بالبصر ، وأرسل المستحقين فى الحرية » نفس رسالة الحب والاخاء الانسانى والحرية التى أوقعت الهلع فى قلوب يهود أوروشليم ، وملكهم هيرودس ، يوم ولادته .. والتى دفعت بهم الى اضطهاده وتعذيبه ومحاولة التخلص منه .. حتى يوم قيامته » .

❖ ❖ ❖

وأنتقل الان الى القسم الاخير من دواعى كتابة هذا المقال : وهو مايجب أن نعيه عندما يذكرنا ظهور طيف العذراء ، بقصة رحلتها المقدسة الى نفس هذه المنطقة من أرض مصر ،الالفى عام مضت ..

وليس معنى هذا ، أننا نتخذ من يهود اليوم موقفا عنصريا .. فلا سند من واقعنا السمح لشىء من هذا .. ولكن تذكرنا لقصة الرحلة المقدسة ، ودوافعها ، وأهدافها ، يفتح الاعين والعقول على حقيقة لاسبيل الى انكارها، حقيقة أن الصهيونية العنصرية

تدفع باليهود اليوم الى اتخاذ نفس المواقف التى اتخذها أسلافهم واتباع نفس الاساليب المدانة بالهمجية والوحشية والاستعلاء العنصرى ..

ان مذبحة الاطفال التى أدت بالعذراء الى الفرار بابنها الرضيع من مهده فى أوروشليم الى أرض مصر .. لابد أن يوم

تذكرنا بالمذابح التى يقيمها اليهود الصهيونيون منذ وطئت أقدامهم أرض فلسطين غزاة مستعمرين ..

ما الفرق بين مذبحة بيت لحم ، وبين مذبحة دير يس .. وما الفرق بين مذبحة بيت لحم ، وبين مذبحة قبيه .. وما الفرق بين مذبحة بيت لحم ، وبين المذابح التى يقيمونها منذ ٥ يونيو الماضى لارغام عرب فلسطين على الفرار بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم من أراضيهم ، ومن مساكنهم الى معسكرات اللاجئين ؟!

وما الفرق بين هذا الفرار النضالى، وبين هروب العذراء النضالى أيضا بابنها الرضيع منذ الفى عام ..

ان العالم ان كان يتطور بالنضال الشعبى والانسانى والفكرى، فيستنكر تجارة الرقيق ، ويتخلص منها ويقيم فى وجهها أسوارا من الرأى العام العالمى .. وان كان بنفس القوة ، يستيكر التفرقة العنصرية والاضطهاد الدينى ، ويؤيد نضال المناضلين فى سبيل الحرية والاخاء الانسانى .. فالصهيونية العنصرية تكرس اليوم هذه الاوضاع الهمجية ، وتقيم لها دولة غاصبة على أسس العدوان والوحشية والعنصرية .. وتجاهر بأنها تحاول بكل هذا ، اعادة بناء مملكة هيرودس مرة أخرى ..!

مذبحة الاطفال فى عهد هيرودس ، تتكرر كل يوم منذ عام ١٩٤٨ ..وهجرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

العذراء مع ابنها الرضيع وراعيها الشيخ فى عهد هيرودس ، تتكرر الان كل يوم من أرض فلسطين المحتلة الى مختلف البقاع المحيطة بها ..

والبكاء والعويل وصرخات الثكالى .. لاتزال تصدر من راحيل التى تبكى أبناءها ولا تتعزى لانهم ليسوا موجودين ..

والواجب الذى شعرت به العذراء فى سبيل حماية الامل ، وفى سبيل تحقيق يوم العودة .. هو واجب كل عربى الى اليوم ..

وموقفها النضالى المفعم بالاصرار والامل فى النصر والاعداد له .. يجب أن يكون أيضا هو نفس موقف كل مؤمن بالحق العربى المطارد ، وبالانسان العربى المضطهد .. يجب أن يكون هو نفس موقف كل مؤمن بحق الاطفال العرب فى ألا ينتزعهم من فوق صدور أمهاتهم ويذبحهم هيرودس الجديد.. ويجب ان يكون أيضا هو موقف كل مؤمن بقصة العذراء المقدسة التى هاجرت هجرتها النضالية ، حماية للطفل ، وحماية للامل ، وحماية للرسالة ..

والعذراء لاتختلف فى أمرها الاديان .. تقدسها المسيحية ، ويقدسها الاسلام ..

وأسباب هجرتها الى مصر وأهداف هذه الهجرة ، لايمكن أن يختلف عليها

بقلم: سامى داود

أحد ، حتى ممن لايؤمنون بأديان السماء .. لانها كانت بالمنطق الانسانى والعقلى وحده ، هجرة نضالية من وجه حكم همجى وحاكم غاشم ، وشعب من الجلادين دعاة العنصرية .. ولانها كانت هجرة تمهيدية لعودة حتمية يتم بها النضال فى مواجهة الصهيونية القديمة وهى الاساس الذى تستند اليه الصهيونية المعاصرة ..

وان كان هناك من يرى أن ظهور طيف العذراء اليوم فى نفس مكان اقامتها منذ الفى عام بمصر ، هو بشرى لنا بالنصر ضد نفس العدو الذى كان يطاردها .. فلا بأس من هذا التفسير الوجدانى ، على أن نتذكر أنها جاءت مناضلة .. وأنها أصرت على العودة اصرار المناضلين.. وأنها عادت بابنها ، عودة المناضلين أيضا ..

ولنا النصر .. لنا النصر بالنضال .. ولنا النصر بالايمان .. والله معنا كما كان مع العذراء منذ الفى عام .. عندما جاءت مناضلة تحتمى بأرضنا.. أرض السلام والايمان .. وتحتمى بشعبنا ـ شعب الحضارة ..وكانت تحمل معها ابنها الرضيع ، الذى اسمه « عمانوئيل » .. ان كلمة «عمانوئيل» معناها .. « الله معنا » ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية